

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان

وهي سورة مكية، تهتم: بإثبات التوحيد، والنبوة، والبعث، وتختتم بذكر صفات عباد الله المتقين.

وهي تبدأ بقوله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١)

تبارك الله، أي: تزايد خيره وتكاثر، وتزايد وتعالى عن كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله، وهي كلمة تعظيم لم تستعمل إلا الله وحده.

﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: القرآن الفارق بين الحق والباطل، بين الهدى والضلال
﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ﴾ من إنس وجن، إلى يوم القيامة
﴿نَذِيرًا﴾ يخوفهم من عذاب الله.

ثم وصف الله ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ وصف ذاته بأربع صفات من صفات الكبرياء، فقال جل جلاله:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ (٢)

أي: هو ﴿الَّذِي﴾ له هذه الصفات:

الأولى: ﴿لَهُ﴾ وحده ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

الثانية: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ وَلَدًا﴾ لعدم احتياجه إلى ذلك، كما زعم اليهود والنصارى.

الثالثة: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ كما زعم المشركون.

الرابعة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وحده ﴿فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ بما يناسب الحكمة من خلقه. هذا هو الإله الواحد - تبارك وتعالى - الذي ينبغي الإيمان به وحده، وأن تكون العبادة له وحده.

ولكن هناك فريق من الناس يقول عنهم ربنا سبحانه:

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٣) يعني ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ لأنفسهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره، وهو الله ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونها.

هذه الآلهة، التي اتخذوها لأنفسهم موصوفة بهذه الصفات:

الأولى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ فهي عاجزة عن ذلك، والإله يجب أن يكون قادرًا على الخلق والإيجاد.

الثانية: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ والمخلوق محتاج، والإله يجب أن يكون غنيا.

الثالثة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ فكيف ينفعون غيرهم أو يضرّونه؟

الرابعة: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ لغيرهم في زمن التكليف ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ في زمن الحساب والجزاء، والإله يجب أن يملك هذا.

هذه هي آلهتهم العاجزة، فكيف يعبدونها من دون الله؟

وبعد أن تحدّث الآيات على وحدانية الله، وأبطلت صحة اتخاذ الكافرين من دون الله آلهة غير الله...!! يكون حديثها عن الشبه التي أثّرت عند إنكارهم نبوة محمد ﷺ.

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا فِكْ أَقْرَبَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ (٤)

وهذه هي الشبهة الأولى:

قالوا على القرآن ﴿إِنْ هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿أَفْتَرَنَاهُ﴾ أي: اختلقه محمد ﷺ وألفه من نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ من أهل الكتاب. ويرد الله عليهم، وعلى شبهتهم هذه بقوله ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾ وقالوا ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ لأنه تحدّاهم فعجزوا.

ولو كان هو الذي أتى به وألفه لفعلوا مثله وما عجزوا، فلما عجزوا: علم أن القرآن ليس من عند محمد، فلما أنكروا ذلك كانوا ظلمة كاذبين. فلنستمع إلى شبهة أخرى:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٥)
وهذه هي الشبهة الثانية:

قالوا على القرآن إنه ﴿أَسَاطِيرُ﴾ وحكايات ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ التي سطورها واختلقوها ﴿اُكْتَتَبَهَا﴾ محمد منهم ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾ وتقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: وقتاً بعد وقت.

ويرد الله عليهم وعلى شبهتهم هذه بقوله عز وجل:

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٦)
أي: ﴿قُلْ﴾ لهم: ليس القرآن أساطير الأولين، بل هو كلام الله ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

ولولا رحمة الله لعاجلكم على كلامكم هذا بالعذاب، حيث ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فأمهلكم حلماً بكم؛ لتتوبوا، فتؤمنوا، فيغفر لكم.

ولنستمع إلى شبهة أخرى، ليست على القرآن، بل على محمد ﷺ:

﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^(٧) أو يُلقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أو تكون له جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٨)

أي: أنه مع ظهور فساد اتخاذهم آلهة من دون الله، وبطلان أقوالهم على القرآن.. لم يؤمنوا، ولم يسكتوا.

بل قالوا على محمد ﷺ هذه الأشياء:

الأول: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ إن كان رسولاً كما يدعي ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كما نأكل نحن الطعام..؟

الثاني: مال هذا الرسول.. إن كان رسولاً كما يدعي ﴿يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كما يمشي الناس في قضاء حوائجهم..؟

الثالث: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ من السماء ﴿فَيَكُونُ مَعَهُ﴾ يصدقه، ويشهد له، ويكون ﴿نَذِيرًا﴾ مخوفاً لمن خالفه..!!

الرابع: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من السماء، ينفق منه، ولا يحتاج إلى شيء في الأسواق..!!

الخامس: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي: من ثمارها، في هذا البلد الذي لا ماء فيه ولا نبات، فيكون له ميزة علينا!!

السادس: إنه مسحور ﴿إِنْ تَنَبَّعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ !!

أي: لهذه الأشياء نحن لا نؤمن به، ولا نتبعه.

هذا.. وقد ردَّ الله عز وجل على شبههم بطرائق في الرد بديعة، وهي على النحو التالي إجمالاً: رد الله على الشبه الأربع الأخيرة بقوله: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ [الفرقان: ٩].

ورد على الشبهتين الأولين بقوله الآتي:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

ورد أيضاً على الشبهتين الرابعة والخامسة بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ﴾ [الفرقان: ١٠].

حيث يقول ربنا ردّاً إجمالياً على هذه الشبه:

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

أي: ﴿أَنْظِرْ﴾ إلى عقولهم وتفكيرهم وتعجب ﴿كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بما ذكروا ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بهذا التفكير الوصول إلى الصواب والحق ﴿سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً.

ثم يقول الله تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝١٠﴾

يعني: ﴿تَبَارَكَ﴾ الله ﴿الَّذِي﴾ عاندوا وكفروا به، وهو ﴿إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الذي قالوه من أن يلقي إليك كنز، أو تكون له جنة تأكل منها ﴿جَنَّاتٍ﴾ متعددة، وليست واحدة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ في هذا البلد الصخري مكة ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ فيها الخدم والحشم، وكل ما يخطر وما لا يخطر ببالك.

ولكننا لم نشأ ذلك، ولم نجعله لك؛ حتى لا يكون الإيمان بسبب هذا الغنى عند النبي، ولا بسبب هذه النعم التي يتمناها البشر، وقد يؤمنون لأجلها.

ثم يوضح ربنا السبب الحقيقي لإثارتهم هذه الشبه، وكذلك لعدم إيمانهم، وهو في ذات الوقت جريمة أخرى من جرائمهم، إذ يقول المولى عز وجل:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾

أي: أنهم زادوا في عنادهم وكفرهم ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ وهي يوم القيامة، وما فيها من حساب، وثواب وعقاب.

وقد ﴿أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ﴾ منهم أو من غيرهم ﴿بِالسَّاعَةِ﴾ ولم يستعد لها بالإيمان والعمل الصالح ﴿سَعِيرًا﴾ أي: ناراً موقدة مسعرة، شديدة اللهب والحر.

هذه النار: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾

يعني: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ ورأوها ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قبل أن يدخلوها أو يقتربوا منها ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ من شدة لهيبها وغليناها ﴿تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾.

وأما هم، فيقول عنهم ربنا عز وجل:

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣)
 أي: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا﴾ في مكان ﴿مِنْهَا﴾ وكان ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بطبيعة الحال،
 وكانوا هم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ مقيدين في الأصفاد وهي الأغلال ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾ في هذه
 اللحظة ﴿ثُبُورًا﴾ أي: قالوا يا هلاكنا. فيقال لهم:

﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (١٤)
 أي: ليس هلاكًا واحدًا، بل هو هلاك وهلاك، وويل ودمار كثير.
 يا أيها الناصح الأمين:

﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾
 ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ (١٥)
 يعني: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور من صفة النار ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ﴿أَمْ جَنَّةُ
 الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ بها من ربهم..؟
 ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾ على إيمانهم وتقواهم ﴿وَمَصِيرًا﴾ حسنًا يستقرون فيه.
 وليس هذا فقط، بل ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ مما لا عين رأت ولا أذن سمعت
 ولا خطر على قلب بشر ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها ﴿كَانَ﴾ ذلك ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا﴾ منه
 سبحانه ﴿مَسْئُولًا﴾ أي: مطلوبًا.

وقد سأله المؤمنون والملائكة من ربهم في دعواتهم.

وأما المعاندون الكافرون، فيقول عنهم العزيز الحكيم:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي
 هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧)

يعني: ﴿وَيَوْمَ﴾ القيامة يبعثهم و ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ويحشر معهم كذلك ﴿مَا﴾ كانوا ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من آلهة ﴿فَيَقُولُ﴾ الرب سبحانه لهذه الآلهة ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ الذين ﴿أَصْلَلْتُمْ عِبَادِيَ هَؤُلَاءِ﴾ الذين كانوا يعبدونكم في الدنيا ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا﴾ بأنفسهم عن السَّبِيلِ، أي: الصواب.

فيكون جواب الذين عبدوا من دون الله هكذا:

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ ﴿١٨﴾

أي: تعجبوا من هذا السؤال و﴿قَالُوا﴾ لربنا: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أنت منزّه عن الشريك والند، فكيف يعبد غيرك..؟

يا ربنا: ﴿مَا كَانَ يُبْغِي لَنَا﴾ ولا يصح منا ﴿أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ وما فعلنا ذلك.

﴿وَلَكِنْ﴾ هؤلاء الضالين ﴿مَتَّعْتَهُمْ وَعِبَاءَهُمْ﴾ بالأموال والأولاد وطول العمر، والسلامة من العذاب، فشغلوا بالنعمة ونسوا المنعم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ﴾ لك، والإيمان بك، فكفروا ﴿وَكَانُوا﴾ بسبب ذلك ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ أي: هلكى، لا نجاة لهم.

وفي الآية تنبيه على أن كثرة النعم دون شكر عليها قد تكون طريقًا إلى الكفر والعياذ بالله!!

هذا، وحين يقول الذين عبدوا من دون الله ذلك، يقول ربنا لمن كانوا يعبدونهم في الدنيا:

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِثْلَ نَفْثَةِ عَذَابٍ كَبِيرٍ﴾ ﴿١٩﴾

يعني: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: هؤلاء الذين كنتم تعبدونهم على أنهم آلهتكم، أو على أنهم يقربونكم إلى الله زلفى، وتبرؤا منكم.

﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ لقولهم ﴿صَرْفًا﴾ أي: ردًا ﴿وَلَا﴾ لأنفسكم من عذاب الله ﴿نَصْرًا﴾ وخلاصًا.

ثم يقول ربنا لأهل الدنيا كلها إلى يوم القيامة: ما فعله الكافرون ظلم ﴿وَمَنْ يَظْلِمُ مِنْكُمْ﴾ كما ظلموا ﴿يُذِقْهُ﴾ في جهنم ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ أي: نخلده فيها. وبعد ذلك تعود الآيات إلى ردّ شبهات الكافرين التي أنكروا فيها نبوة محمد ﷺ، فتقول:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (٢٠)

يعني: قالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق..؟

فما الذي يعيبك في ذلك..؟

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ من رسول ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إلى أمة من الأمم ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ﴾ كانوا على هذه الصفة ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ لحاجتهم إلى التغذية به، شأن البشرية جميعاً ﴿وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ للتكسب والتجارة وقضاء المصالح؛ شأن البشر جميعاً، وما نقص ذلك من قدرهم شيئاً، ولا قلل من صفاتهم الحسنة، وأقوالهم الفاضلة، وأفعالهم الكاملة، وأنت كذلك مثلهم..!! فلماذا يعيبون عليك ذلك..؟

وعلى كل حال، فقد ﴿جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ وابتلاءً وامتحاناً؛ حيث جعلهم يقولون ما يقولون من مثل قولهم: محمد بشر مثلنا، فلمْ خُصَّ بالرسالة من دوننا..؟

وقولهم على الدعاة إلى الله: هم مثلنا، فلمْ يقومون بالدعوة لنا، هل يريدون الفضل علينا، أو انتزاع الخير منا؟

يقول ربنا في سؤال مُبْتَدَأ: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على أذاهم لكم بالفعل والقول..؟ ولمْ لا، وأنتم على الحق؟ إذن فاصبروا.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بهم وبكم، فيجازي كل واحد منكم بما يستحق، فاطمئنوا واصبروا واثبتوا.

ثم يعرض الله عز وجل علينا شبهة جديدة لمنكري نبوة محمد ﷺ، حيث يقول الله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾

يعني: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾ كفروا بالله، وأنكروا البعث، وهم الذين قالوا عن القرآن إنه كذب، وقالوا على النبي ﷺ ما قالوا، وهم ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون ﴿لِقَاءَنَا﴾ وما يحدث لهم ساعته، ماذا قالوا..؟ قالوا ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَتِكَةُ﴾ أي: أنزلت علينا الملائكة تشهد على صدق محمد ونبوته ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فيخبرنا بصدق محمد في دعواه النبوة..!! ويكون الرد الإلهي عليهم ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ واغتروا، وطلبوا هذا الطلب كبراً وغروراً وعناداً ﴿وَعَتَوْا﴾ وظلموا كذلك ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أي: ظلماً فظيماً شنيعاً بطلبهم هذا.

ثم يقول ربنا، إنهم:

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَتِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿٢٢﴾

أي: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَتِكَةَ﴾ كما طلبوا.. يكون الأمر قد انتهى؛ حيث إنهم لا يرونها إلا عند الموت، أو يوم البعث، وساعتها تقول لهم الملائكة ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ بل البشرى للمؤمنين، وأنتم عاندم وكفرتم فلا بشرى لكم.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لهم أيضاً ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ عليكم البشرى؛ فهي ليست لكم.

وليس هذا فقط، بل يقول الله تعالى:

﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ ﴿٢٣﴾

يعني: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ وقصدنا ﴿إِلَىٰ﴾ كل ﴿مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ كانوا يحسبون أنهم يحسنون فيه وبه صنعا، وينتظرون منه الخير ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً﴾ كالغبار الدقيق جداً ﴿مَّنْثُورًا﴾ في الهواء، يعني لا قيمة له، ولا وزن، ولا ثواب عليه.

وبعد أن بين الله حال هؤلاء الكافرين بين حال أهل الإيمان، بقوله تبارك وتعالى:

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾

أي: أن ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ وهم المؤمنون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في يوم القيامة يكونون على أحسن حال، فهم ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أي: مقرهم وسكنهم وإقامتهم، هي الخير كله. وهم ﴿أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: راحتهم، وتفكهم، هو الحسن كله. ثم يأمر الله رسوله ﷺ أن يتذكر مشهدين من مشاهد يوم القيامة فيهما العزاء والسلوى من عناد الكفار له.

في المشهد الأول: يقول سبحانه له:

﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعْيِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

يعني: واذكر ﴿يَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ﴾ وتنفرج ﴿بِالسَّعْيِ﴾ وهو ظلل النور العظيم، الذي يبهر الأبصار ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ مع هذا الغمام ﴿تَنْزِيلًا﴾ يحيطون بالخلائق في مقام الحشر، يوم القيامة.

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ﴾ هو ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ فلا ملك لغيره. ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ شديدًا عليهم، سهلًا يسيرًا على المؤمنين.

وفي المشهد الثاني: يقول تبارك وتعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِّيَ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

يعني: واذكر أيضًا ﴿يَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ﴾ الذي كفر بالله وعاند الرسول ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً لموقفه في الدنيا، وهو يقول ساعتئذٍ ﴿يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ في الدنيا ﴿سَيْلًا﴾ لصحبته، والإيمان به ومتابعة ما جاء به؛ لأدخل الجنة الآن..!!

كما يقول متحسرًا ﴿يَوَيْلَ لِّيَ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ﴾ بدلاً منه ﴿فَلَانًا﴾ الكافر العاصي لربه المعاند لرسوله ﴿خَلِيلًا﴾ صديقاً في الدنيا ورفيقاً.

نعم: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي﴾ هذا الصديق ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾ وهو القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ من الله، ووصل إلي.

إن هذا لمن عمل الشيطان، الذي كنت أطيعه ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ وقد أصابني الخذلان والخسران.

هذا، ولما أكثر الكفار من الاعتراضات الفاسدة، ووجوه التعنت الكثيرة، ضاق صدر النبي ﷺ، واشتكى إلى ربه عز وجل:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠)
أي: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ شاكيًا لربه ﴿يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ وجعلوه ﴿مَهْجُورًا﴾ متروكًا.

حيث أهملوا تلاوته، والاعتناء به، والخشوع له، والعمل بأحكامه.
ويلاحظ: أن سبب هذه الشكوى، موجود بيننا، وليس إهمالاً فقط، بل معادة له، وحرماً لأحكامه، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!
ولما اشتكى النبي لربه!! قال له: لست وحدك، وأسوتك إخوانك من الأنبياء الذين أوذوا وصبروا فلتصبر.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١)
أي: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الذي يفعلونه معك فعله السابقون من الكافرين مع إخوانك من النبيين، حيث ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ منهم مثل ما يحدث معك ﴿عَدُوًّا مِنَ﴾ الكافرين ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ ولا تبتئس من أعمالهم، وصدّهم للناس عن الإيمان فإن ربك لهم بالمرصاد، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لمن أراد الهداية ﴿وَنَصِيرًا﴾ لمن آمن بك واتبعتك.

ثم يعرض الله عز وجل شبهة أخرى لمنكري نبوة محمد ﷺ، حيث يقول تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢)

يعني: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله وأنكروا البعث، وهم الذين قالوا عن القرآن إنه

كذب، وهم الذين قالوا على النبي ﷺ ما قالوا..!! ولكن.. ما الذي قالوه هذه المرة..؟
قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾ الذي يدعيه ﴿جُمْلَةً وَحِدَةً﴾ لو كان صادقاً، كما
نزلت التوراة جملة واحدة على موسى، والإنجيل جملة واحدة على عيسى، ولم ينزل
مفرقاً كما يحدث الآن؟!؟

والجواب ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: أنزلناه مفرقاً لأمرين:
الأول: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ وأفئدة المؤمنين معك، من خلال هذه المعاشية
المستمرة مع نزوله المفرق المتتابع مع الحوادث والأحوال.
الثاني: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾ عليك وعلى المؤمنين ﴿تَرْتِيلاً﴾ تفهمه ويفهمونه، وتسعد به
ويسعدون به أيضاً.

ثم ختم ربنا الحديث عن شبههم هذه بقوله عز وجل:

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾
﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٣٤)

يعني: وهكذا.. هؤلاء ﴿لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي: بسؤال عجيب من شبههم السابقة
كلها ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ﴾ أي: جئنا لك ﴿بِالْحَقِّ﴾ في الجواب عليهم، بما يدفع
باطلهم، ويكون ﴿أَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ بياناً وتوضيحاً لما يسألون عنه، ويعترضون عليه.

هؤلاء المعاندون هم: ﴿الَّذِينَ﴾ سوف ﴿يُحْشَرُونَ﴾ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ مع
غيرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ﴾ مكانهم ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ وهو جهنم، وطريقهم الذي
يسيرون فيه ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي: طريقاً فاحذروهم.

وبعد أن أكد ربنا على قضية التوحيد، وإثبات النبوة، ورد الشبهات..!!

وبعد أن بين أن ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوٌّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]..!!، بدأ يذكر قصص
بعض الأنبياء، الذين كذبوا من أمهم.

وكانه يقول لمحمد ﷺ: لست وحدك، فمن قبلك الأنبياء قد كذبوا.

وهذه هي القصة الأولى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾

يعني: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وهو التوراة، وأرسلناه إلى فرعون وقومه ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ له.

﴿فَقُلْنَا﴾ لهما ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لدعوتهم إلى لإيمان، وهم فرعون وقومه فذهبوا، وبلغاهم، ودعواهم.. فكذبوا.

فماذا كانت النتيجة..؟ يقول العزيز الجبار: ﴿فَدَمَرْنَهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي: أهلكناهم هلاكًا عجيبيًا، فليحذر المعاندون المكذبون..!!

والقصة الثانية:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾

أي: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ من قبلهم ﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾ أي: المرسلات إليهم، أيضًا ﴿أَغْرَقْنَهُمْ﴾ بالطوفان، وجعلنا إغراقهم على هذا الشكل ﴿لِلنَّاسِ﴾ آية تدل على قدرتنا على إهلاك المكذبين.

﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ فوق ذلك ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ في يوم القيامة، نظرًا لتكذيبهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

والقصة الثالثة:

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبَرُّيرًا ﴿٣٩﴾﴾

يعني: وأهلكنا ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ لَمَّا كذبوا رسلهم.

﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ ووَضَّحْنَا لَهُمُ الْأَدْلَةَ، فَكَذَّبُوا.

و - لَمَّا كَذَّبُوا ﴿كُلًّا تَبَرَّأْنَا﴾ منهم ﴿تَنْبِيْرًا﴾ أَهْلَكْنَا إِهْلَاكًا قَاسِيًا.

القصة الرابعة:

﴿وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُوا يَكُونُوا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ ﴿٤٠﴾

يعني: ﴿وَلَقَدْ أَنَوَّا﴾ ومروا ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ وهي قرية قوم لوط ﴿الَّتِي أَمْطَرَتْ﴾ بالحجارة عليهم ﴿مَطَرَ السَّوْءِ﴾.

﴿أَفْكَمَ يَكُونُوا﴾ أي: هؤلاء الكفار من أهل مكة ﴿يَكُونُوا﴾ في سفرياتهم، ويشاهدونها بأعينهم، فيتفكروا، ويؤمنوا؟ ﴿بَلْ﴾ إنهم ﴿كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا﴾ لا يخافون منه؛ لأنهم يؤمنون به.

ثم بيَّن الله عز وجل أن هؤلاء الكافرين لم يكتفوا بإنكار نبوة محمد ﷺ فقط: بل كانوا يسخرون منه ويهزؤون به. يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخَذُوكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿٤١﴾

يعني: و - هؤلاء ﴿إِذَا رَأَوْكَ إِن﴾ أي: ما ﴿يَخَذُوكَ إِلَّا هُزُؤًا﴾.

أي: مادة لاستهزائهم ويقولون ﴿أَهَذَا﴾ هو ﴿الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ﴾ إلينا

﴿رَسُولًا﴾...؟! ثم يقولون ساخرين:

﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾

أي: إنه أوشك أن ﴿يُضِلَّنَا﴾ ويصرفنا ﴿عَنْ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِنَا﴾ بسحره ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ وتمسكنا بها، لصرفنا عنها، ويرد الله عليهم مهديدًا متوعِدًا مُبْطِلًا كلامهم.. من ثلاثة أوجه:

الأول: هم يقولون ذلك ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ نتيجته ﴿حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ الشديد، وسوف يعرفون أيضًا ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ هم أو محمد ﷺ؟

الثاني: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾
يعني: أنهم اتخذوا أهواءهم آلهة لهم، ومن كان كذلك لا فائدة منه، ولا رجاء فيه ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ يأخذ عنك ويسمع لك، ويقبل منك.
الوجه الثالث: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾

يعني: ﴿أَمْ﴾ أنك ﴿تَحْسَبُ﴾ وتظن ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَسْمَعُونَ﴾ لك ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ عنك؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ﴾ في عدم انتفاعهم بالقرآن وآياته ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام ﴿سَبِيلًا﴾.

وبعد أن بيّن المولى جهلهم وعنادهم، قدّم للعالم كلها وأهلها كلهم إلى يوم القيامة بعض الدلائل على وحدانيته تعالى، وقدرته سبحانه.

حيث يقول في النوع الأول من هذه الدلائل:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

يعني: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وتنتظر ﴿إِلَى﴾ صنع ربك الدال على قدرته ووحدانيته...!!
انظر ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ أي: بسطه ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ سبحانه ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ دائماً.
﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ﴾ بضوئها ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ يعرف به.
﴿ثُمَّ﴾ بعد هذا المد للظل ﴿قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ بطلوع الشمس ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ هادئاً.

وهذه آية من آيات قدرة الله ووحدانيته.

ويقول تعالى في النوع الثاني من هذه الدلائل:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ﴿٤٧﴾

يعني: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ للوجود ﴿لِبَاسًا﴾ يستره، وجعل ﴿النَّوْمَ سُبَاتًا﴾ تستريح فيه الأبدان، حيث يقطع مواصلة الأعمال. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ ينتشر فيه الناس، لمعايشهم، وأعمالهم، وأرزاقهم. وهذه آية من آيات قدرة الله ووحدانيته.

ويقول سبحانه في النوع الثالث من هذه الدلائل:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

يعني: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ بقدرته ﴿بُشْرًا﴾ أي: بشارة ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: قدام المطر.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ به ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أي: السحاب ﴿مَاءً طَهُورًا﴾.

وذلك: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ﴾ أي: بماء هذا المطر ﴿بَلَدَةً مَّيِّتًا﴾ أرضًا طال عطشها، وقلّ نباتها، وكذلك ﴿نُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا﴾ إنعامًا عليهم، وعطفاً بهم.

هذا، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: ذكرنا نعمة نزول المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين الناس في القرآن، وفي الكتب السابقة من قبله.

وذلك: ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ فيعرفوا نعمة الله، فيؤمنوا ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ بهذه النعمة، وعدم إيمان بالمنعم بها، وهو الله عز وجل.

ثم يقول ربنا لحبيبه ﷺ في وسط هذه الدلائل:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهْدَهُمْ بِهِمْ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

أي: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففنا عنك، وبعثنا ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوفهم عذاب الله إن لم يؤمنوا، ولكن لم نفعل، حيث جعلناك النذير الخاتم، وجمعنا فيك كل صفات الكمال والنجاح.

لذلك: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ﴾ ولا تتأثر بأكاذيبهم عليك، وعنادهم لك، ﴿وَجَهْدَهُمْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن وما فيه ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ عظيمًا عند الله، حيث يتقبله منك، وينفع لك فيه.

ثم يقول القوي القادر في النوع الرابع من هذه الدلائل:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

يعني: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ بقدرته، أي: أرسلهما وجعلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة. ومع ذلك: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا﴾ بقدرته ﴿بَرْزَخًا﴾ غير يابس بحيث لا يختلطان، ولا يبغي أحدهما على الآخر ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أي: سترًا يمنع اختلاطهما، وهذه آية من آيات قدرة الله ووحدانيته.

وفي النوع الخامس من دلائل الوحدانية والقدرة يقول الله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾
يعني: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ بقدرته ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ أي: المني ﴿بَشَرًا﴾ أي: إنسانًا.

﴿فَجَعَلَهُ﴾ أي: جعل هذا الإنسان ﴿نَسَبًا﴾ أي: ذكورًا ينسب إليهم ﴿وَصِهْرًا﴾ يعني: إناثًا يصاهرون، والأصهار أهل بيت المرأة.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ أي: قادراً، حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر، هما: الذكر والأنثى، وهذه آية من آيات قدرة الله ووحدانيته.

هذا، وبعد أن قدم ربنا هذه الدلائل والآيات المؤدية إلى الإذعان، والاعتراف، بتوحيده عز وجل وقدرته؛ عاد سبحانه إلى تقبيح تصرف الكافرين، وبيان سوء فعلهم فقال الحق تبارك وتعالى:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ (٥٥)

أي: ومع وضوح هذه الدلائل وكثرتها، فهم ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ شيئاً إن عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بشيء إن تركوه، وهي الأصنام. وبهذا، ﴿كَانَ الْكَافِرُ﴾ مطيعاً للشيطان، و﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾ له ﴿ظَهِيرًا﴾ أي: معيناً. يا محمد لا تبال بهم، ولا تحزن لعدم إيمانهم، ولا عليك منهم..

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥٦)
يعني: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ بآياتنا ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ للعصاة الكافرين بالنار، وقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، فلا تقصير منك، بل منهم، ولا عيب عليك، بل عليهم.

وبما أنه ﷺ مبشر ومنذر فقط، فإن الله تبارك وتعالى يوجه إليه هذه الأوامر:

الأمر الأول:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٥٧)
أي: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعني علىٰ تبليغي لكم رسالة الله، وحيي لإنقاذكم من النار، أي شيء ﴿مَنْ أَجْرٍ﴾ أخذه منكم.

﴿إِلَّا﴾ أنه ﴿مَنْ﴾ آمن منكم، و﴿شَاءَ﴾ أن يتخذ ﴿إِلَىٰ﴾ مرضاة ﴿رَبِّهِ﴾ سَبِيلًا ﴿عن طريق الإيمان، والطاعة، والإنفاق في سبيل الله؛ فذلك أجري، حيث إن الله يأجرني أيضًا عليه.﴾

الأمر الثاني:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا﴾ (٥٩)

وفي الآية: أمر من الله تعالى للنبي ﷺ، وهو بالتالي أمر لكل مسلم أن يتوكل على الله أي: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى﴾ الله في كل أمورك، وقد وصف الله نفسه بهذه الأوصاف: أنه ﴿الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ولذلك من توكل عليه لا يضيع، بخلاف من توكل على من يموتون. وهذا هو الوصف الأول.

ولذلك: ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ أي نزهه عن صفات النقصان، بصفات الكمال طلبًا لمزيد الإنعام.

الوصف الثاني: أنه العالم بكل شيء ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ سبحانه ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ من الكفر وغيرها ﴿خَبِيرًا﴾ عالمًا بها، مجازيًا عليها.

الوصف الثالث: أنه القادر على كل شيء، فهو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي﴾ مدة مقدارها ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

هذا هو ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الذي أَمَرَ محمد ﷺ بالتوكل عليه، ولتزداد معرفة به وقربًا منه ﴿فَسَلِّ بِهِ﴾ واستعلم عنه من هو به ﴿خَبِيرًا﴾ وهو محمد ﷺ، واتبعه فيما يخبرك به ويطلبه منك.

هؤلاء الكافرون: ﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ [الفرقان: ٥٥].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (٦٠)

يعني: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ اخضعوا واعبدوا، و ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾: استكبروا، وعاندوا ثم ﴿قَالُوا﴾ استهزاء، وعتوا، وطغيانًا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ هذا؟ ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أنت يا محمد بالسجود له؟

﴿وَرَادَهُمْ﴾ طلب السجود ﴿نَفُورًا﴾ منك ومن الإيمان، وبعدًا عنك وعن الإيمان. إنهم ما عرفوا الله الذي أمروا بالسجود له حق المعرفة، وما قدروه حق قدره، وإلا لخضعوا له سبحانه:

﴿نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (٦١) ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢) ﴿نَبْرَكَ﴾ تعظيم الله، الواحد، القادر ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ بقدرته ﴿فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ أي: أماكن ومسارات للكواكب والنجوم، والذي ﴿جَعَلَ فِيهَا﴾ أي: السماء ﴿سِرَاجًا﴾ وهي الشمس، مضيئة ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ بضوء الشمس حال اختفائها. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ﴾ بقدرته ﴿اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل واحد منهما صاحبه، إذا ذهب واحد جاء الآخر.

وهذه آيات ﴿لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ نعم الله، فيعتبر، فيؤمن ويهتدي ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ لله على هذه النعم.

وبعد أن حدثتنا السورة عن الكافرين ومواقفهم ومجاداتهم وعنادهم للنبي ﷺ، تعرض لنا لونا آخر من ﴿عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣] وهم الصالحون الذين يعملون على مرضاة ربهم، ليلاً ونهاراً؛ جعلنا الله وإياكم منهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وقد وصفهم ربنا بثلاث عشرة صفة، فلنستمع إلى قوله تعالى:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣)

يعني: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ الذين يحبهم الله، ويبشرهم برضوانه هم الموصوفون بهذه الصفات.

الصفة الأولى: أنهم ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: أنهم متواضعون لله، مترفقون مع خلقه، من غير ضعف ولا ذل ولا انكسار.

الصفة الثانية: و - أنهم ﴿إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ أي: السفهاء بغلظة، أو بما

يكرهون، لم يفعلوا عليهم، ولم يعاملوهم بالمثل، بل ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قولاً فيه سلامة من الإثم والأذى.

الصفة الثالثة: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾^(٦٤)
وأنهم: ﴿الَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ الليل في طاعة ﴿لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾.

الصفة الرابعة:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٦٥)
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا^(٦٦)

وأنهم: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في دعائهم ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ﴾ وأبعد ﴿عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ ونجنا منه. حيث ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا﴾ لمن تعذبه فيها ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ أي: شراً لازماً له.

يا رب: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ ويئست ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ لعصاة المؤمنين ﴿وَمُقَامًا﴾ للكافرين، فلا تجعلها مستقراً لنا ولا مقاماً.

الصفة الخامسة:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٦٧)
وأنهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ أي: لا إسراف منهم، ولا بخل فيهم.

﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي: وسطاً، لا إسراف فيه ولا تقتير ﴿قَوَامًا﴾ أي: عدلاً، ويقولون خير الأمور الوسط.

ويقول الله تعالى عنهم:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(٦٨) يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا^(٦٩)

وفي هاتين الآيتين الصفة السادسة وهي: ﴿الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ لا يعبدون ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: لا يشركون بالله شيئاً، وكأنه تعالى يقول للكافرين: وأنتم تشركون.

الصفة السابعة: أنهم الذين ﴿لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كقصاص، أو رجم، أو لردة، أو لسعي في الأرض بالفساد، أي: وأنتم تقتلون. الصفة الثامنة: أنهم الذين ﴿لَا يَزْنُونَ﴾ أي: وأنتم أيها الكافرون تزنون. ثم يقول ربنا للذين يرتكبون هذه الجرائم الثلاث، أو واحدة منها: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ كله، أو شيئاً منه، ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: نتائج آثامه في الدنيا، عقوبة له من الهموم والغموم، والضيق النفسي.. إلخ. ثم ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ويكرر عليه ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ أبد الآبدين، ويكون ﴿مُهَانًا﴾ وذليلاً.

ويستثني ربنا بكرمه وعفوه من هذا العذاب، ومن مضاعفته ومن الخلود في النار، والإهانة فيها: مَنْ تَابَ، فيقول عز وجل:

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

يعني: يعذب الله مَنْ أشرك، أو قتل، أو زنى ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عن ذلك، وندم ورجع إلى الله ﴿وَآمَنَ﴾ به واتبع نبيه ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يرضي الله، ويصلح البلاد، ويسعد العباد.

﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعفو الله عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، بل ﴿يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لذنوب عباده ﴿رَحِيمًا﴾ بهم يبدلها حسنات.
وهكذا ﴿مَنْ تَابَ﴾ عن ذنوبه، ورجع إلى الله بالطاعة، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يحقق به توبته. ﴿فَإِنَّهُ يُؤْتِبُ﴾ بذلك ﴿إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ مقبولا منه، مرضيا به عنه.
ثم تعود الآيات إلى كمال بيان صفات عباد الرحمن، فيقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾
الصفة التاسعة: أنهم ﴿الَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ وهو الكذب، أي: لا يحضرون مجالس الكذب، أو لا يقومون بأداء شهادة الزور.
الصفة العاشرة: وأنهم الذين ﴿إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام الفاحش وأهله، ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ معرضين عنهم، مكرمين لأنفسهم بالبعد عنه.
الصفة الحادية عشر:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾
يعني: وأنهم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ في الكون، وفي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا عليها أي: على الاهتداء بها، وهم سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، وليسوا كغيرهم الذين لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون، ولا ينتفعون.

ثم يقول المولى عز وجل عنهم:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾
وفي هذه الآية نجد الصفة الثانية عشر وهي: أنهم ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لربهم في دعائهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ أفرادا صالحين، يكونون لنا ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في الدين، وطاعة لله، وفي الآخرة، بدخولهم معنا الجنة بإذن الله.

الصفة الثالثة عشر وهي: أنهم الذين يدعون ربهم، ويقولون في دعائهم: ربنا

﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي: بلغنا في طاعتك الحد الذي نكون فيه قدوة للمتقين من عبادك.

وفي النهاية، يقول ربنا عن عباد الرحمن هؤلاء:

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

يعني: ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات الجميلة، والذين هم عباد الرحمن يكون جزاؤهم على الوجه التالي:

أولاً: جزاؤهم الجنة ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ وهي أعلى ما في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على الطاعة، وعن المعصية، وعلى البلاء.

ثانياً: لا يسمعون فيها إلا سلاماً ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ من الله، ومن الملائكة، ومن أهل الجنة أيضاً.

ثالثاً: لهم الخلود فيها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

وأنعم به من ثواب، اللهم اجعلنا من أهله يا رب العالمين.

يا محمد، أنذر الكافرين في هذه السورة إنذاراً أخيراً..

﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكافرين ﴿مَا يَعْبُؤُا﴾ ما يبالي، وما يكثرث ﴿بِكُمْ رَبِّي﴾ لو لم تعبدوه؛ لأن عبادتكم لا تنفعه، وعدم عبادتكم لا يضره، هذا و ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد ما كشفها عنكم، ومع أنه سبحانه يكشفها عنكم لدعائكم إياه، فلم تستفيدوا بذلك ولم تطيعوه، ولم تؤمنوا به.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بالقرآن، وعاندتم الرسول ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب بسبب

ذلك ﴿لِزَامًا﴾ أي: ملازماً لكم في الدنيا وفي الآخرة.
